معوقات ومقومات الاعتدال في الخطاب الإسلامي المعاصر

أ.د أمل هندي الخزعلي*

الباحثة طيبة جاسب حزام**

*جامعة بـغـداد/ كلية العلوم السياسية
amal .hindy@copolicy.uobaghdad.edu.iq
**جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية
tiba.Jasib1201b@copolicy.uobaghdad.edu.iq

ملخص :

يعد مفهوم الاعتدال من المفاهيم المعاصرة والقيم الانسانية التي تسعى لتطوير العلاقة بين الافراد والجماعات والحضارات، وعلى الرغم من أهمية ذلك المفهوم، إلا أن هنالك معوقات تقف امام تطبيقه والعمل به وإشاعة التفرقة والعنصرية بين ابناء الوطن الواحد والتي تقف بالضد من تعزيز وحدة المجتمع والامة وتطبيق منهج الاعتدال، ومن تلك المعوقات الطائفية والتعصب، وانتشار الخطاب السلفي الجهادي، الاستبداد السياسي، والعنف التكفيري، ومن أجل حجب والتخلص من هذه معوقات لابد من السعي لترسيخ مقومات مهمة تعمل على اشاعة ثقافة الاعتدال والتسامح وقبول الاخر والحوار معه لبناء مجتمع أمن ومستقر ومزدهر في مختلف المجلات، ومن أهم تلك المقومات تجديد الاجتهاد، والتقريب بين المذاهب ، ومحاربة التطرف والتشدد التي تتعرض له المجتمعات والأمم، ولتلك المقومات أهمية في تحقيق مجتمع متكامل ومتقدم ومواكب للتطورات والتجديد وبعيد كل البعد عن التقليد والجمود والتطرف والتشديد أي مجتمع يسوده الاعتدال والوسطية والاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

كلمات مفتاحية : الاعتدال ، معوقات ومقومات فكرية ، محاربة التطرف ، استقرار سياسي

Obstacles and Elements of Moderation in Contemporary Islamic Discourse

ABSTRACT

The concept of moderation is one of the contemporary concepts and human values that seek to develop the relationship among individuals, groups, and civilizations. Despite the importance of this concept there are obstacles that stand in the way of its application and work such as the spread of discrimination and racism among people of the same nation which stands in opposition to strengthening the unity of society and nation, and the application of the method of moderation. It also includes sectarian obstacles and fanaticism، the spread of Salafi-jihadi discourse, political tyranny , and takfiri violence. For the elimination of these obstacles important components must be consolidated to spread the culture of moderation, tolerance, acceptance, and dialogue with the other for safe, prosperous, settled society. One of the most important of these components is the renewal of ijtihad، bringing sects closer together، and combating extremism to which societies and nations are exposed. These components are important in achieving an integrated and advanced society, keeping pace with developments and renewal, and far from tradition, stagnation, and extremism.

KEYWORDS: moderation, intellectual obstacles and elements, extremism combat, political settlement.

المقدمة

يمثل الاعتدال فضيلة وضرورة اخلاقية وسياسية واجتماعية خاصة في المجتمعات ذات التنوع الثقافي والسياسي والديني والطائفي، إذ لا يعد وجود الاعتدال ضرورة لازمة للمجتمعات التي تعاني من التشدد والتطرف والنزاعات والصراعات فحسب، بل أن وجوده ضرورة لازمة لكل المجتمعات حتى في اوقات السلم عندما يكون المجتمع ذات مكونات مختلفة، وأن الدين الاسلامي يدعو الى الاعتدال والوسطية في

جميع تشريعاته، وكما يظهر ذلك من خلال مراجعة القران الكريم وملاحظة سيرة النبي الاكرم (ص) وأهل البيت (عليهم السلام)، وعلى الرغم من أهمية ذلك المفهوم (الاعتدال) إلا أنه يواجه معوقات تعوق مسيرة وجوده منها الطائفية والتعصب والعنف والخطاب السلفي الجهادي والتطرف ، وأيضاً له مقومات تعمل على التخلص من تلك المعوقات وإشاعة ثقافة الاعتدال والوسطية منها التقريب بين المذاهب ومحاربة التطرف ومشروع تجديد الاجتهاد .

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث في توضيح وتحديد المعوقات التي تقف امام تطبيق الاعتدال وإبراز دور المقومات التي تعمل على حجب والتخلص من تلك المعوقات التي تعمل على اشاعة ثقافة العنصرية والتفرقة بين المجتمعات والأمم .

إشكالية البحث : في ظل الانتشار الواسع لخطاب التطرف والعنف الذي يقف عائقاً حقيقي امام التعايش السلمي ، كيف يمكن استنهاض قيم الاعتدال والتسامح من خلال الخطاب الإسلامي المعاصر .

فرضية البحث: تنطلق فرضية البحث من أن المعوقات الفكرية والسياسية التي تعترض سبل ترسيخ الخطاب المعتدل ، لا تعني غياب الكثير من المقومات التي تسعي التفعيل من أجل اشاعة قيم التسامح والتعايش ورفض العنف والارهاب.

منهجية الدراسة : اعتمد البحث على منهج تحليل المضمون ، والمنهج المقارن من خلال المقارنة بين المعوقات والمقومات .

هيكلية البحث: سوف نقسم هذا البحث الى محورين المحور الاول بعنوان (معوقات الاعتدال) أما المحور الثاني يحمل عنوان (مقومات الاعتدال) .

المحور الاول: معوقات الاعتدال

معوقات الاعتدال هي الظواهر والمفاهيم السائدة التي تحول وتمنع من وجود اعتدال ووسطية بين الناس اعتقاداً وتطبيقاً ومنهجاً ومن هذه المعوقات أهمها:

اولاً: الطائفية والتعصب

الطائفية ظاهرة قائمة على التمييز بين الإفراد عن طريق منح امتيازات لفئة

معينة دون أخرى بشكل يثير التخاصم والتناحر وعدم الاعتدال، وهذه الظاهرة لها عوامل داخلية وخارجية تعمل على تنميتها تستغرق الخصوصيات المحدودة، حيث تحتضن مفاهيم ذات خصوصيات شعورية لها سلبياتها التي تؤثر على الخط الفكري العام [1].

لذلك أنها تمثل عقبة أمام تطبيق المواطنة، لأن المواطنة في الأساس تقوم على فكرة المساواة بين الجميع وترفض التمييز بين الجنس واللون والدين والعرق وتحقق التنمية الشاملة والعادلة في ارجاء الوطن كافة، حيث تكون الطائفية عامل هدم يفتت كل ما يمكن أن تحققه المواطنة من بناء مجتمع متكامل وعادل، فتمثل النزعات الطائفية والعشائرية الخطر الحقيقي الذي يهدد بناء الدولة[2].أو يمكن وصفها بأنها ظاهرة اجتماعية وحركة سياسية لا يمكن عزلها بأي شكل من الاشكال عن موجة التأسلم أو التدين، أي بمعنى استخدام الدين في السياسة من أجل تحقيق اغراض دنيوية لا دخل لها بالدين أو حسابات الآخرة فهي حالة تدين تتمسك بتفسير مدرسة فقهية واحدة للدين على اعتبار أنه التفسير الوحيد الذي يعبر عن الشريعة أو تعاليم الدين أو أساسيات تعاليمه، وكل ماعدا هذا الالتزام الاحادي يندرج تحت مفهوم الخروج على الشريعة والدين[3].

تكون الطائفية عامل هدم يفتت كل ما يمكن أن تحققه المواطنة من بناء مجتمع متكامل وعادل، فتمثل النزعات الطائفية والعشائرية الخطر الحقيقي الذي يهدد بناء الدولة

وتعزى أسباب الطائفية الى[4]:

1. غياب ثقافة التعددية الفكرية وثقافة التوافق السياسي، وبالتالي غياب القبول بالتعددية الثقافية والاجتماعية في المجتمعات عامة.
2. وجود مصالح وأجندات سياسية ضيقة عند بعض الجماعات المعنية بالطوائف أو المهيمنة عليها فتعمل من أجلها دون النظر للأخطار المترتبة عليها، وبالتالي سوف تستقوي هذه الجماعات بالهوية الطائفية على حساب الهويات الوطنية الجامعة.
3. أو قد يكون سببها ارتباط المجتمعات سلبياً بالموروثات التاريخية مما يجعلها حبيسة التاريخ ومرتهنة له، بل وتحتكم الوقائع جرت منذ

(1) عامر الكفيشي، مقومات النهوض الإسلامي بين الاصالة والتجديد، ط 1، دار الهادي للنشر، بيروت، 2006م، ص ص 351 ــ 353.

(2) أوسامة زايدي، الطائفية الدينية وإثرها على الاستقرار السياسي في الدولة ــ دراسة حالة لبنان ــ، رسالة ماجستير (منشورة) ، كلية الحقوق والعلوم السياسي، 2017 م، ص 16.

(3) المصدر نفسه، ص 21.

(4) كاظم شبيب، المسألة الطائفية ــ تعدد الهويات في الدولة الواحدة ، ط 1، دار التنوير للنشر، بيروت، 2011 م، ص ص 85 ــ 86.

عشرات القرون في خلافاتها السياسية والاجتماعية القائمة.

4. بسبب غياب العدالة في مسألة توزيع موارد الدولة، أي عدم توازن الدولة في توزيع الموارد بين مناطقها ومحافظاتها وطوائفها، وهذا يعود الى غياب العدالة في خطط التنمية التي تتبناها الحكومة بالتالي تصبح هناك مناطق مترفة وثرية ومناطق فقيرة، أو سببها استخدام المذهب أو الطائفة كأداة للتنافس وصراع السياسيين بين مكونات المجتمع السياسي الواحد[5].

هنالك من يربط الطائفية بالتعصب، والمقصود بالتعصب (هو عدم قبول الحق عندما يظهر الدليل أو انغلاق جماعة أو فكر سياسي أو مذهب أو طائفة على مبادئها أو غلو التعلق بشخص أو فكرة أو عقيدة أو مبدأ بمختلف اشكاله المذهبية والدينية والقومية أو الفكرية

إضافة إلى ذلك هنالك من يربط الطائفية بالتعصب، والمقصود بالتعصب (هو عدم قبول الحق عندما يظهر الدليل أو انغلاق جماعة أو فكر سياسي أو مذهب أو طائفة على مبادئها أو غلو التعلق بشخص أو فكرة أو عقيدة أو مبدأ بمختلف اشكاله المذهبية والدينية والقومية أو الفكرية)[6].

وورد في الموسوعة السياسية بأن التعصب هو التزمت والغلو في الحماس والتمسك الضيق الأفق بعقيدة أو فكرة دينية، مما يؤدي الى الاستخفاف بآراء ومعتقدات الآخرين ومحاربتها والصراع ضدها وضد الدين الذين يحملونها[7].

وللطائفية سلبياتها فهي تعمل على تحديد الفرد لهويته بالتعصب لانتماء مذهبي وديني الى الطائفة والجماعة بحيث يتحدد من خلالها سلوك الفرد تجاه الآخر داخل جماعته هذه وخارجها،

وللطائفية سلبياتها فهي تعمل على تحديد الفرد لهويته بالتعصب لانتماء مذهبي وديني الى الطائفة والجماعة بحيث يتحدد من خلالها سلوك الفرد تجاه الآخر داخل جماعته هذه وخارجها، وأيضاً تعد الطائفة هي تحديد الاعمال والممارسات والسلوكيات بواسطة الايمان بالفوارق الدينية الناجمة عن جعلها حدود وقيود تمثل التراتبية الاجتماعية والصراعات[8].

ويتضمن التعصب عنصرين أحدهما ايجابي وهو اعتقاد المرء أن الفئة التي ينتمي إليها سواء كانت قبيلة أو فكرا أو وطنا أرقى

(5) المصدر نفسه، ص 92.

(6) جاسم محمد عبد الكريم وناهده محمد زبون، مفهوم الاعتدال في الفكر السياسي الإسلامي، مجلة العلوم السياسية، العدد56، جامعة بغداد، 2018م، ص 282.

(7) عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية ، ج 3، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993م، ص 768.

(8) عزمي بشارة، الطائفة ـــ الطائفية ـــ الطوائف المتخيلة، ط 1، مركز العربي للأبحاث

وأسمى من الفئات الأخرى، والعنصر الآخر سلبي وهو اعتقاد المرء أن الفئات الأخرى أحط من تلك التي ينتمي إليها[9].

ويذهب مع هذا الرأي(محمد عابد الجابري)حيث يرى أن العصبية هي رابطة اجتماعية وسيكولوجية شعورية ولا شعورية معا ً حيث تقوم على التضامن المتبادل بين الفرد وعصبته لدرجة فناء أحدهما في الآخر وهذا جانب ايجابي، ولكنها تتضمن أيضاً جانب سلبي يتمثل بشعور السلبي تجاه الآخرين ليتشكل عندئذ التعصب، طالما أن العصبية تقوم على التعاضد بين الجماعة على اساس قرابة الدم والدفاع عنه سواء كانت هذه الجماعة على حق أم باطل[10].

تعد العصبية في جانبها السلبي من التحديات التي تمنع من تحقيق الاعتدال في المجتمعات المسلمة لأن المتعصب يصادر فكر الآخر ولا يعترف بوجود كل ما هو آخر اصلاً

لذلك تعد العصبية في جانبها السلبي من التحديات التي تمنع من تحقيق الاعتدال في المجتمعات المسلمة لأن المتعصب يصادر فكر الآخر ولا يعترف بوجود كل ما هو آخر اصلاً، وقد يؤدي الى العنف وبالتالي غياب روح التسامح والاعتدال والتعايش السلمي بين إفراد الأمة الواحدة.

ثانياً: الاستبداد السياسي

كلمة المستبد Despot مشتقة من الكلمة اليونانية Despotes التي تعني رب الآسرة أو سيد على عبيده أو سيد المنزل، ثم خرجت من هذا النطاق الآسري الى عالم السياسة من أجل أن تطلق على نمط من أنماط الحكم الملكي المطلق الذي تكون فيه سلطة الملك على رعاياه مماثلة لسلطة الاب على ابنائه في الآسرة[11].

إن هذا الخلط بين وظيفة الاب التي هي ذات مفهوم اخلاقي، ووظيفة الملك الذي هو ذات مركز سياسي يؤدي في الحال الى الاستبداد

إن هذا الخلط بين وظيفة الاب التي هي ذات مفهوم اخلاقي، ووظيفة الملك الذي هو ذات مركز سياسي يؤدي في الحال الى الاستبداد، فالحاكم ((الاب)) للجميع وهذا يعني أنه من حقه أن يحكم حكماً استبدادياً لأن الاب لا يجوز أخلاقياً معارضته ولا يجب

والدراسات السياسية، بيروت، 2018 م، ص 77.

(9) المصدر نفسه، ص 194.

(10) محمد عابد الجابري، العصبية والدولة ، ط 5، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992 م، ص 169.

(11) أمام عبد الفتوح أمام، الطاغية ــ دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، د . ط، عالم المعرفة للنشر، الكويت، 1994 م، ص 52.

الاعتراض على أوامره فقراره مطاع واحترامه واجب مفروض على الجميع، فينتقل هذا التصور الاخلاقي الى مجال السياسة ويتحول الى كبت وصد المعارضة اياً كان نوعها، وبالتالي تصبح الانتقادات الموجهة إليه عيباً ((فنحن ننتقل من الاخلاق الى السياسة ثم نعود مرة أخرى من السياسة الى الاخلاق ولذلك كله محاولات لتبرير الحكم الاستبدادي))[12].

يقصد بالاستبداد الإكراه الذي تمارسه سلطة ليس لها الحق في استخدام القوة أو حتى سلطة شرعية تتجاوز الحدود والقيود، ويكون الفرد ضحية الاكراه الاستبدادي الذي يلغي دوره ووجوده كشخص ويجعل منه مجرد اداة لسحق الآخرين

وأيضاً يقصد بالاستبداد الإكراه الذي تمارسه سلطة ليس لها الحق في استخدام القوة أو حتى سلطة شرعية تتجاوز الحدود والقيود، ويكون الفرد ضحية الاكراه الاستبدادي الذي يلغي دوره ووجوده كشخص ويجعل منه مجرد اداة لسحق الآخرين، بالتالي يدور الاستبداد على تعدد معانيه حول محور واحد هو (الانفراد) وأوضح صور الاستبداد اي انفراد فرد أو مجموعة بإدارة شؤون المجتمع عن طريق الاستحواذ على السلطة من دون وجه حق من خلال استبعاد الآخرين وإهدار مبدأ المساواة وحق المشاركة، مما يجعل قوام الاستبداد وأساسه مبدأ اقصاء الآخر وتهميشه من أجل الاستحواذ والانفراد بالسلطة[13].

ويفترض الاستبداد وجود علاقة بين طرفين متساويين في الحقوق والواجبات العامة، ولكن أحدهما دون الآخر ينفرد بالحقوق المشتركة أي حقوق ادارة شؤون المجتمع السياسي، ويتضمن الانفراد هنا معنى عدم الاعتراف بالآخر ونفيه من المشاركة في الحق العام، فهو اعتداء على حقوق الشعب ومصادرة حقه في المشاركة في الحكم وهو حقه في مبدأ المساواة[14].

وفي ظروف غياب ثقافة الحوار والتسامح سوف تقود ثقافة الاستبداد المجتمع الى حالة سلبية من عدم ترابط وتوازن والاعتدال

وفي ظروف غياب ثقافة الحوار والتسامح سوف تقود ثقافة الاستبداد المجتمع الى حالة سلبية من عدم ترابط وتوازن والاعتدال، وبالتالي يندفع المجتمع الى اتجاهين: أما التصادم بين الاتجاهات

(12) المصدر نفسه، ص 53.

(13) مجموعة باحثين، الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر ، بيروت ، 2005 م، ص13.

(14) محمد هلال الخليفي، جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة، (في مجموعة باحثين):الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، بيروت، 2005م، ص 285.

والأفكار المتعارضة والوصول الى الصدام المادي، أو انصهار الكل في فكر واحد وتجاه تسلطي منفرد[15]، وبالتالي نرى أن الاستبداد يتواجد في المجتمعات التي يغيب فيها الاعتدال والتوازن حيث أن وجود الاعتدال له الدور المهم في محاربة الاستبداد والتخلص منه.

ثالثاً: العنف التكفيري

يقصد بالعنف الاستخدام المتعسف للقوة ضد الاشخاص والدول والمجموعات لإرغامهم على القيام بعمل ضد إرادتهم[16]، أو هو سلوك سياسي أو اجتماعي يجنح نحو تحقيق الهدف عن طريق استعمال القوة المادية والرمزية وحمل الخصم بالإكراه والقوة على التسليم بمطالبة[17].

ويشمل العنف الممارسات كافة التي تتضمن استخداماً فعلياً للقوى من أجل تحقيق أهداف اجتماعية وسياسية لها دلالات وأبعاد سياسية وتكون هذه الممارسات فردية أو جماعية، سرية أو علنية، منظمة أو غير منظمة، وقد يمارس النظام العنف عبر أجهزة ومؤسسات رسمية لتخلص من أثر المعارضة أو قد يمارسه الإفراد ضد النظام من أجل تحقيق مكاسب سياسية أو لتغير نظام السياسي برمته[18].

والعناصر الأساسية التي تصنع العنف في الوعي السياسي وتمنح ماهيته الثابتة منها ما هو «سياسي» يرتبط بمجمل المصالح الاجتماعية التي تجد في فكرة التكفير واسطة من وسائطها الى التحقيق والإشباع، ومنها ما هو «معرفي» فهو الذي يدفعهم نحو اعتناق الفكرة التكفيرية بوصفها الأصح[19].

العنف التكفيري فهو نتيجة لتعصب فكر معين واعتقاده بأن مبادئه وأفكاره هي الأصح، وبالتالي ولدت الجماعات المسلحة التكفيرية خاصة في المجتمعات العربية التي كفرت الآخر

أما العنف التكفيري فهو نتيجة لتعصب فكر معين واعتقاده بأن مبادئه وأفكاره هي الأصح، وبالتالي ولدت الجماعات المسلحة التكفيرية خاصة في المجتمعات العربية التي كفرت الآخر، ويعد العنف التكفيري من المشكلات الخطيرة التي واجهت الاعتدال وزرعت

(15) عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين .. رؤيــة اسلامية للحوار، د . ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004 م، ص 244.

(16) عبد الامير محسن، العنف في العراق سياسي لا طائفي، مجلة الــرأي الـعـام، العدد 4، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية، 2007 م، ص 11.

(17) عبد الإله بلقزيز، الاسلام والسياسية، ط 2، مركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ، 2008 م، ص 83.

(18) خضير ابراهيم سليمان، العنف الطائفي وعلاقته بالاستقرار السياسي ، مجلة الـرأي الآخر، العدد 4، ص 51 ــ52.

(19) عبد الاله بلقزيز، مصدر سبق ذكره، ص 103.

روح التفرقة والفتنة بين المجتمعات المسلمة وغيرها، وأيضاً يكون التكفير نتيجة الجهل والخلط بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر، لذا من الطبيعي أن تكون قلة المعرفة بتعاليم الدين وقيمه والنظرة السطحية إليه سبب من أسباب نشوء ظاهرة التكفير ولهذا تكون صفة الجهالة من الصفات الملازمة للحركات التكفيرية[20].

(20) محمد بن عبد ربه الخطيب، ظاهرة التكفير وعلاجها د. ط ، د. م، 2017 م، ص 18.

ويؤكد(محمد مهدي شمس الدين)على أن من أهم عوامل العنف والصراع وسوء التفاهم بين أتباع المذاهب الإسلامية هو الجهل المتبادل وعدم الانفتاح الفكري فيما بينهم حتى على مستوى العلماء والقيادات، حيث يحتفظ كل طرف لنفسه بانطباع وموقف سلبي تجاه الطرف الآخر دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتأكد من صحة انطباعه وموقفه وكأنه ليس مسؤولاً أمام الله عن سوء ظنه بالآخرين وخطأ حكمه عليهم، أو غير مدرك لما ينتجه هذا الموقف الجاهلي من أخطار وتبعات على وحدة الأمة وتماسك صفوفها. وهذا الجهل وعدم الانفتاح بين المذاهب هو الذي يتيح الفرصة للأعداء أن يشوهوا سمعة كل مذهب، أمام المذاهب الأخرى، وليعبئوا كل طائفة تجاه الطوائف الأخرى[21]. ولذلك فأن واقعنا الإسلامي يشهد موجات من التكفير والتكفير المضاد وتسرعاً في اخراج الناس عن الدين دون قيود أو ضوابط وهكذا تكون الأمة قد تسلطت عليها مجاميع تهدر دماء وأموال من يخالفها الرأي في بعض المسائل الدينية والسياسية والفقهية والعقائدية[22].

(21) محمد مهدي شمس الدين،التعددية والحرية في الإسلام:بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب،ط2، دار المنهل للنشر ، بيروت، 2001 م ،ص 35.

(22) حسن الخشن، الاسلام والعنف، ط 1، مركز الثقافي العربي للنشر، المغرب، 2006 م، ص 32.

وفضلاً عن ما سبق نستنتج أن العنف هو كل تصرف يؤدي الى الحاق الاذى بالآخرين، قد يكون هذا الاذى نفسياً أو جسدياً معنوياً أو مادياً، وكما يتخذ العنف طابع اجتماعي واقتصادي وسياسي، وأن الاستهزاء وإهانة من الآخرين من أجل فرض ارادة طرف على الآخر تعد فعل من افعال العنف التي تؤثر على تماسك الأمة الواحدة ويمنع تحقيق الاعتدال بينهم[23].

(23) رجاء محمد قاسم، العنف ضد المرأة في ضوء مفاهيم النوع والفروق الفردية، مؤتمر السليمانية ـ ثقافة اللاعنف في تعامل مع الآخر، بغداد، 2000 م، ص 208 .

رابعاً: انتشار الخطاب السلفي الجهادي

أخذت السلفية حيزاً من الاهتمام الاعلامي والأكاديمي خلال

العقود الأخيرة، لاسيما بعد ظهور التيار التكفيري فيها، وتؤكد السلفية على أن السلف من خلال منهجهم هم الذين كانوا أبعد الناس عن الخطأ وأقربهم الى الحق[24].

(24) اركـان الكيلان، الفكر السياسي للسلفية في العراق، ط 1، دار قناديل للنشر، بغداد، 2018م، ص9.

حيث عرفت السلفية وفق دلالات متعددة منها أنها مفهوم فكري- سياسي يقوم بالرجوع إلى الماضي والاقتداء بتجربة السلف الصالح وتمجيدها وعدها الأنموذج الواجب الرجوع إليه من أجل تطور وإصلاح المجتمع، بالمعنى الدقيق لها هي التي تؤكد على الاقتداء بالمضمون والشكل على تجربة الخلفاء الراشدين بالتحديد وعدّهم السلف الصالح، والسلفية تنادي باعتماد منهج السلف الصالح والمحدد بمرجعية الكتاب والسنة وكل من يفهم منهج السلف الصالح على طريقته[25].

عرفت السلفية وفق دلالات متعددة منها أنها مفهوم فكري- سياسي يقوم بالرجوع إلى الماضي والاقتداء بتجربة السلف الصالح وتمجيدها وعدها الأنموذج الواجب الرجوع إليه من أجل تطور وإصلاح المجتمع

(25) عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص 229 ـ 330.

إن السلفية هي اصطلاح جامع يطلق للدلالة على منهج السلف الصالح في تلقي وفهم الإسلام والعمل به وللدلالة على الملتزمين بهذا المنهج قديماً وحديثاً، أو بمعنى آخر هي الوسيلة التي كان عليها الصحابة والتابعون ومن اتبعهم بإحسان من التمسك بالكتاب والسنة وتقديمهما على ما سواهما والعمل بهما على مقتضى فهمهم [26]، وهناك من جعل من السلفية هوية تطلق على كل من كان طريقه هو طريق الرعيل الاول ومن يقتدون بهم في تلقي العلم وطريقة فهمه وبطبيعة الدعوة إليه[27].

(26) مفرح بن سليمان القوسي، المنهج السلفي، ط 1، دار الفضيلة للنشر، الرياض، 2002 م، ص ص 32-41.

(27) صالح بن عبد الله العصيمي، هذه هي السلفية منهج أهل السنة و الجماعة، د . ط، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1992 م، ص40.

كما توصف السلفية على أنها دعوة الإسلام الحق كما أنزله الله تعالى على خاتم رسله وأنبيائه فالله وحده سبحانه هو مؤسسها ومشرعها وليس لأحد من البشر الحق أن يدعي تأسيسها أو تشريعها، وحتى النبي محمد(ﷺ)أنما كان دوره فيها هو التلقي الواعي الأمين والتبليغ الدقيق الكامل ولم يكن مسموحاً له التصرف في شيء من شرع الله تعالى ووحيه، ولهذا

توصف السلفية على أنها دعوة الإسلام الحق كما أنزله الله تعالى على خاتم رسله وأنبيائه فالله وحده سبحانه هو مؤسسها ومشرعها وليس لأحد من البشر الحق أن يدعي تأسيسها أو تشريعها

فادعاء إنسان مهما سما وعلا تأسيس هذه الدعوة الإلهية المباركة أنما هو في الحقيقة خطأ جسيم[28]. وأنها «موافقة الرأي مع الكتاب والسنة وروحهما فمن عارضهما وخالفهما فليس بسلفي وأن عاش في عهد الصحابة الذين بهم ابتدأت السلفية منهجا»[29] .

ومن جهة أخرى قد توصف السلفية أنها نزعة احتجاجية على التطورات التي طرأت على مستويين من مستويات الدين: التعبدي والعقائدي[30]، وبعضهم يعرف أتباعها على أنهم «المحافظون الذين حافظوا على سيرة الأسلاف من أرباب العقيدة الإسلامية» [31]. والبعض الآخر يعدها ظاهرة حديثة يرجع تاريخها الى الحركات الإصلاحية الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر[32].

ومن مجمل التعاريف السابقة يمكن القول أن السلفية هي طريقة فهم الدين الإسلامي كما يعتقد أصحابها في ضوء رؤية السلف الصالح، فهي حركة تقليدية في الأسلوب والمنهج دون أن تعطي المتغيرات والحوادث النازلة اعتبار في المنهج والفهم.

وأحياناً استعمال مصطلح السلفية يشير إلى الوهابية وهي تيار أسسه (محمد بن عبد الوهاب)[33*] في شبه الجزيرة العربية، فالسلفية هي منهج في النظر إلى النصوص الإسلامية، وليس(محمد بن عبد الوهاب) سوى واحد من المطالبين بإتباع هذا المنهج والدفاع عنه بينما يرى بعضهم أن الوهابية ليست سلفية بل هي شكل من أشكال السلفية[34]، والوهابية كان يراد بها أتباع أئمة الدعوة السلفية التي قام بها في(نجد) (محمد بن عبد الوهاب) بالرغم من أنه وأتباعه على المذهب الحنبلي في الفقه[35].

وقد يرى البعض بأن السلفية والوهابية: «وجهان لعملة واحدة فلا يكون هنالك فرق بينهما حيث يعتقدون بالأفكار والمعتقدات نفسها فهي داخل جزيرة العرب وهابية حنبلية وعندما تصّدر لخارجها تسمى سلفية» [36].

وهناك من يرى فرق بين السلفية والوهابية على أساس الاختلاف في الخطاب، مثلاً تبنى (الألباني)[37**]خطاباً يبتعد عن

(28) نقلا عن:علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، هذه هي السلفية دعـوة الأمـن والأمـان، منتدى كل السلفيين ، 2011م، عمان، ص44.

(29) محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى، د.ط، دار الأعلام الدولي، القاهرة، 1992م، ص52.

(30) عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات في المغرب العربي 1971 -2004، بحث أنثروبولوجي سوسيولوجي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص11.

(31) هـ.ر.أ.جيب، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة هاشم الحسيني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966م، ص56.

(32) مضاوي الرشيد، مساءلة الدولة السعودية أصوات إسلامية من الجيل الجديد، د .ط.، دار الساقي، بيروت، 2009م، ص14.

(33) (*)محمد عبد الوهاب:هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد ولد 1115 هـ في بلدة العيينة شمالي الرياض، وتوفى عام 1206 هـ للمزيد أكثر عن حياته انظر راغب السرجاني، قصة محمد عبد الوهاب، مؤسسة أقرا للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2011م، ص 18-27.

(34) فرانسوا بورجا ، الإسـلام السياسي صـوت الجنوب قـراءة جديدة للحركة الإسلامية في شمال أفريقيا، ترجمة لو رين فوزي ط 1، دار العالم الثالث للنشر، القاهرة، 1992م، ص ص 46-47.

(35) محمد إسماعيل المقدم، خواطر حول الوهابية، ط 1، دار التوحيد للتراث، الإسكندرية، 2008م، ص 37-39.

(36) حسن السقاف، السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية، د . ط، دار الأمام الرواس، بيروت، 2002م، ص20.

(37) (**)ناصر الدين الألباني:ولد

الاشتغال المباشر بالمسألة السياسية ويعتمد على استراتيجية بعيدة المدى تقوم على تأسيس خطاب سياسي يحمل نشاطاً دعوياً تبشيرياً يهدف إلى أعادة أسلمة المجتمع من القاعدة يفضي إلى قيام الدولة الإسلامية، بخلاف الدعوات السلفية السابقة كالوهابية التي ارتهنت إلى رؤية تقوم على أساس التشدد عمادها أن أسلمة المجتمع أنما تتم عن طريق سلطة الدولة [38].

ومن الاعمال التي قامت بها التيارات السلفية الجهادية هي محاربة مؤسسات الدولة واعتبرت أنها تنظيمات مرتدة وكافرة و تحيا حياة الجاهلية وأنها غير شرعية، إذ ترى أن الجهاد ضدها هو أولى من جهاد الحكومات الغربية (الكافرة)، لأنها لا تقوم على منهج الله وشريعته وتحكم بغير ما أنزل الله، ومن ثم يصبح الجهاد ضدها واجباً شرعياً لا يجوز التخلي عنه، لأن منهج الإسلام في نظرهم يهدف إلى إزالة الطواغيت من الأرض وتحطيم أنظمتهم، وعلى هذا الأساس بعض التيارات السلفية كفرت في الحاكم والمحكوم، والأنظمة والمؤسسات العسكرية والمدنية والأجهزة الأمنية وأعلنت الجهاد ضدها وأهدرت دماء من ينتمي إليها، وهي بذلك خلطت بين الاعتقاد والعمل فدائرة الاعتقاد هي التي تجعل من الإنسان مؤمنا أو كافراً ولكن دائرة العمل لا تخرجه من الدين أو الملة، أي لا تخرجه من دائرة الحكم والاعتقاد فمباشرة حكم الناس وقيادتهم هو من الأعمال وليس من الاعتقاد، ومع ذلك فأن هناك تبايناً واضحاً حول آلية التعامل مع المؤسسات الحكومية بين التيارات السلفية من حيث استخدام العنف وغياب الاعتدال والحوار أو المقاومة السلمية أو الصبر والطاعة[39].

بعض التيارات السلفية كفرت في الحاكم والمحكوم، والأنظمة والمؤسسات العسكرية والمدنية والأجهزة الأمنية وأعلنت الجهاد ضدها وأهدرت دماء من ينتمي إليها، وهي بذلك خلطت بين الاعتقاد والعمل فدائرة الاعتقاد هي التي تجعل من الإنسان مؤمنا أو كافراً ولكن دائرة العمل لا تخرجه من الدين أو الملة

والسلفية بتياراتها المختلفة تطرح فكرة الدولة الإسلامية بديلاً عن الدولة المدنية والتي فيها الشريعة تكون حاكمة على كل واحد، وحق التشريع فيها حق خالص لله ورسوله والمجتهدون مستنبطون

في ألبانيا عـام 1914 م أنتقل مع أسرته عام 1923 إلى دمشق وبداياته كانت حنفية المذهب ثم حضر دروس بهجت العطار وهو متأثر بابن تيمية والتراث السلفي وهـذا ما دفعة لمتابعة مجلة ((المنار)) لرشيد رضا. في بداية 1950 أصبح مشهورا ً في سوريا ثم عمل مدرس في الجامعة الإسلامية في السعودية بترشيح من ابن باز عام 1961 ثم هاجر إلى الأردن عام 1979 وتوفى عام 1999م. للمزيد ينظر الى:ستيفان لاكـروا، زمن الصحوة، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت ، 2012 م ، ص 111 _ـ 112.

(38) مجموعة باحثين، رماح الصحائف، السلفية الألبانية وخـصـومـهـا، مـركـز مسبار للدراسات والبحوث، دبي، 2011 م، ص115.

(39) حسن محسن رمضان، تشريح الفكر السلفي المتطرف، د.ط، دار الحصاد للطباعة والنشر ، دمشق ، 2000 م، ص 346.

والقضاة مثلهم مثل القضاة في أي نظام، يطبقون التشريع الذي يأتيهم من المشرع[40]، فالدولة الإسلامية التي يريدها السلفيون هي دولة(الخلافة الإسلامية)التي حكمت المسلمين لقرون طويلة، حسب اعتقادهم بشرع الله تعالى لا تفصل الدين عن الدولة، دولة تكون السلطة فيها للشعب ولكن سلطة التشريع والتقنين فيها للشرع فهي توافق في المضمون «الدولة المدنية» من جهة أن السلطة الحاكمة فيها من الشعب، وتخالفها في أن سلطة التشريع فيها للشرع لا من الشعب، فليس للشعب فيها حق التشريع[41].

(40) عبد المنعم الشحات، المادة الثانية من الدستور ببين التفعيل والتعطيل، منشورة على موقع صوت السلفية:
www. Salafvoice.com م ، الوقت م 44 :4، تاريخ الزيارة 30، 6 ، 2022

هذا الاختلاط في الأفكار والمفاهيم ولد رؤية ضبابية لبعض الشباب المتحمس دينياً وعبأهم بالحيرة والتساؤلات والشكوك وعدم القدرة على تقييم المواقف والتيارات والاتجاهات والرموز الشرعية والفكرية

هذا الاختلاط في الأفكار والمفاهيم ولد رؤية ضبابية لبعض الشباب المتحمس دينياً وعبأهم بالحيرة والتساؤلات والشكوك وعدم القدرة على تقييم المواقف والتيارات والاتجاهات والرموز الشرعية والفكرية، حيث لعبت شبكة الانترنيت دوراً فاعلاً في تجنيد الشباب واستقطابهم وتوفير فضاء حيوي للتأثير النفسي والإعلامي والحوار من خلال عالم افتراضي يتجاوز في آثاره ودوره مؤسسات إعلامية عالمية ضخمة فظنوا «أي الشباب «أنه يجب قتال ومحاربة الدولة الظالمة أو ما يخيل إليهم أنها ظالمة، أي جهاد مؤسسات الدولة الكافرة أو المرتدة، مما ولد امتزاج الحماس بالجهل في تعاليم الدين وطاقة تهديمية شديدة من العنف والتطرف، وبالتالي ادى الى غياب الاعتدال والتوسط، وقد نجم عن مثل هذه القراءات ظهور مفاهيم جديدة عملت على تشريع إعلان الحرب على مؤسسات الدولة ونشر الكراهية والتطرف باستخدام مفهوم الجهاد ضد المسلمين والمخالفين لها في تفسيراتها ولإضفاء المشروعية على هذا الفهم استحضرت «سوابق تاريخية « صدرت فيها فتاوى تشرع الجهاد والقتال في الداخل الإسلامي كفتاوى(أبن تيمية) في قتال التتار، متجاهلين السياق التاريخي والسياسي والفقهي لتلك الفتاوى،مما أصبح لهذا الاستحضار والتوظيف سلطة مرجعية

(41) المصدر نفسه .

حاسمة في إعلان مشروعية الجهاد والحرب داخل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وتأجيج حروب الداخل وتحويلها إلى حروب أهلية وتخريبية لمؤسسات الدولة الحكومية، مما زاد الأمة ضعفاً وانقساماً وانتشار التطرف والعنف بين ابناء الأمة الواحدة وغياب الوسطية والاعتدال[42].

(42) مجموعة باحثين، السلفية ــالنشأة ـــ المرتكزات الهوية، ط 1، معهد المعارف الحكيمة للدراسات الدينية و الفلسفية، بيروت ، 2004م، ص 69.

ومن القضايا المهمة التي تدل على تطرف وتشدد وعدم اعتدال السلفيين رؤيتهم لحقوق المرأة وضرورة منعها من تولي المناصب العليا كأن تكون قاضية أو وزيرة وخاصة رئاسة الدولة

ومن القضايا المهمة التي تدل على تطرف وتشدد وعدم اعتدال السلفيين رؤيتهم لحقوق المرأة وضرورة منعها من تولي المناصب العليا كأن تكون قاضية أو وزيرة وخاصة رئاسة الدولة، لأن في ذلك ظلم للمرأة حسب رأيهم والمرأة هي راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ولا تخرج من بيتها إلا لحاجة أذن الشرع فيها ومع التأدب بالآداب الشرعية وبأذن الزوج أو الولي مستعينين بمجموعة أحاديث نبوية لديهم تشير إلى منع وتحريم تولي المرأة للولاية العظمى وغيرها من الولايات الكبيرة ومنها الحديث النبوي الشريف:((لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة))، ويرى السلفيون أن هذا هو حكم رسول الله لذلك أجمع أولوا الأمر من أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء على منع المرأة من تولي منصب رئاسة الدولة أو أي منصب آخر، ويؤكدون على أنه لم يحدث في تاريخ الاسلام بصورة صريحة ولا مرة واحدة أن تولت امرأة الحكومة[43]، على الرغم من عدم وجود أدلة شرعية تجزم بمنع المرأة تولي القضاء ومنصب الرئاسة سوى قراءات لنصوص[44].

(43) سعيد عبد العظيم، حكم تولي المرأة المناصب العامة وحكم دخولها في الانتخابات، دراسة منشورة على موقع: www.al-fath.net وقت الزيارة 3:38م ، تاريخ الزيارة 12 ـــ9 ـــ 2022 .

فضلاً عما تقدم يمكن القول أن انتشار الجماعات الجهادية يشكل تهديداً حقيقياً للدول والمجتمعات كافة، إذ يهدد السلم الاهلي والوحدة والتماسك داخل المجتمعات العربية، وكذلك يعيق تحقيق الاعتدال والوسطية في تلك المجتمعات وغياب الحوار والتسامح بينهم.

(44) خليل الربيعي، فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر ـــ الملتقى الدولي السادس ، جامعة الحاج لخضر ـــ باتنة ــ الجزائر ، 2013م، ص 53.

المحور الثاني : مقومات الاعتدال

مع تصاعد حدة الخطاب المتطرف الذي كان يعتمد على لغة الاقصاء والتكفير والعنف برزت دعوات توعية الأمة بمخاطر ذلك التشدد والتطرف، والتأكيد على أن مبدأ الاسلام هو التوازن والاعتدال والوسطية وأن الاسلام يؤكد على نقاط الالتقاء مع الآخرين وتعزيزها وقبول الآخر المختلف ويحد من التعصب والتفرقة بين المواطنين، فالاعتدال هو موقف الوسط والاتزان لا إفراط ولا تفريط، وتجسدت مظاهر الاعتدال في التشريع الإسلامي عن طريق أحكام الشريعة التي كانت تمتاز بالمرونة وقابلية التشريعات للتجديد وتطور مع مقتضيات العصر والحاجات، ومثل تلك الدعوات التيار المعتدل الذي يقوم على الكثير من الدعائم الفكرية التي برزت ملامحه في اعادة قراءة النصوص، والتعاون بين الفئات الإسلامية في المتفق عليهِ والتسامح مع المختلف فيه، الدعوة الى التجديد في الدين وأحياء فريضة الاجتهاد، وكانت تلك الدعائم تنطوي على التسامح وترسيخ قيم المواطنة ونبذ العنف يمكن أن تخلق خطاباً بديلاً عن الخطاب المتطرف أي خطاب مستنير حضارياً وسطياً، ولاسيما أن الانحراف والابتعاد عن خط الاعتدال والوسطية يقود الى الجهل والتطرف والاستبداد وأن المبتعدين عن وسطية الاسلام ينتهجون الاكراه والقهر وسفك الدماء، لاتصافهم بصفتين هما الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية والتورط بتكفير المخالفين لهم لأدنى تهمة أو شبه استباحة دمائهم، أما الخطاب المعتدل فيجعل الحوار أساس التعامل مع الآخر والعيش المشترك هو الجامع للتعاون أي يمكن خلق خطابٍ مستنيرٍ يكون ثمرة الاجتهاد البشري في فهم الاسلام، وبالتالي يكونَ قابلٍ للمناقشة والمراجعة والنقد والتقويم وإعادة النظر[45].

فالاعتدال هو موقف الوسط والاتزان لا إفراط ولا تفريط، وتجسدت مظاهر الاعتدال في التشريع الإسلامي عن طريق أحكام الشريعة التي كانت تمتاز بالمرونة وقابلية التشريعات للتجديد وتطور مع مقتضيات العصر والحاجات

(45) أمـل هندي الخزعلي ، التجديد في الخطاب الإسلامي المعاصر ، ط1، مكتبة الهاشمي للكتاب الجامعي، بغداد، 2022 م، ص 113 ص 114.

وفي الخطاب الإسلامي المعاصر يحدد المفكرون والباحثون

أمور عدة يشترط اعتمادها من أجل تعزيز الاعتدال في المجتمعات الإسلامية، بل يعدها البعض مقومات أساسية لمنهج الاعتدال ولعل أبرزها:

أولاً: الدعوة للتجديد والاجتهاد

ظلت مقولات الاجتهاد والتجديد في الخطاب الإسلامي من أهم المقولات التي يتحرك في فضائها عمل الكثير من دعاة النهضة والإصلاح من علماء ومثقفين ومفكرين وحركيين إسلاميين على مدى العقود المنصرمة، والدافع لهذه المقولة هي التحديات الفكرية والمعرفية التي يواجهها الإنسان المسلم وواقع التخلف والتطرف الذي يعيشه، وانعكاسات التحدي الخارجي التي باتت تهدد ايمانه وقناعته بالإسلام في بنيته العقائدية ونظامه التشريعي وتنظيمه الاخلاقي.

(46) إبراهيم العبادي، الاجتهاد والتجديد، ط 1، دار الهادي للنشر، بيروت، 2000 م، ص 14.

(47) علي ابو البصل، الاجتهاد ودوره في التجديد، في:نخبة من الباحثين والمفكرين الإسلاميين، الاجتهاد و التجديد، ج 1، ط 1 ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، طهران ، 2003 م، ص181.

(48) شهاب الدين الحسيني، الاجتهاد والتجديد في المنهج الإسلامي، في:نخبة من الباحثين والمفكرين الإسلاميين، الاجتهاد والتجديد، ج1، ط1، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، طهران، 2003م ، ص 242.

ومقولة الاجتهاد والتجديد ترتبط: أولاً بعامل الزمن، وثانيا بفكرة احتواء المعرفة البشرية واستيعابها، وثالثاً بالارتفاع الى مستوى لغة الخطاب المعاصر واستفهاماته، فالاجتهاد لم يولد إلا على اساس قـراءة النص الإسلامي ضمن حركته في الواقع المعاش لتكون قراءة واعية لثوابت النص وحدود الفهم المتغير لمقاصده وأهدافه، بهدف الاستجابة لإشكاليات الواقع وتكييف متغيراته واحتوائها ضمن الفضاء المعرفي الإسلامي[46].

عرف الاجتهاد بأنه بذل الطاقة والجهد في طلب العلم بأحكام الشريعة( )، أو استفراغ الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي فهو بذلك القدرة والقابلية والملكة على استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية

حيث عرف الاجتهاد بأنه بذل الطاقة والجهد في طلب العلم بأحكام الشريعة[47]، أو استفراغ الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي فهو بذلك القدرة والقابلية والملكة على استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية[48]. والبعض الآخر يعرف الاجتهاد هو الاستنباط الشرعي من مصادر التشريع الإسلامي بغض النظر عن مدلولات ومصاديق الادلة التفصيلية التي يذهبون الى اعتمادها أو بطلانها أو حتى الاحكام التي يصلون إليها، والتأكيد على أن يكون استفراغ

الوسع فيمن توفرت فيهم شروط علمية معينة في عصر معين لأجل التوصل الى حسن تصور للمراد الالهي من نصوص القرآن الكريم، أو لآجل تطبيق المراد الالهي في الواقع المعاش وتلك الشروط تحديدها متروك لطبيعة الظروف والمتغيرات الفكرية والاجتماعية والعلمية التي تتأثر بها تلك الشروط الواجبة توافرها واجتماعها في شخصية المجتهد كماً ونوعاً.

ووفق التعريفات السابقة يمكن القول: بأن الاجتهاد هو بذل السعي والجهد لاستنباط حكم شرعي من الأدلة الشرعية المعتبرة، وبذل الجهد يعني استخدام العقل والتدبر في فهم الأدلة الشرعية، أو هو النظر والتعمق في الأحكام والأمور، وبالتالي يمكن تعريف المجتهد بناء على ما تقدم بأنه « من قامت فيه ملكة الاجتهاد، أي المقدرة على استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. فلا يعد الشخص مجتهداً ولا فقيهاً إذا عرف الأحكام الشرعية بطريقة التلقين والحفظ، أو بتلقيها من الكتب، أو أفواه العلماء بلا بحث،ولا نظر، ولا استنباط »[49].

(49) عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م، ص402.

يؤشر المختصون بالخطاب الإسلامي وجود تلازم بين مفهومي الاجتهاد والتجديد حيث يعدون الاجتهاد وسيلة ضرورة للتجديد، أي أن التجديد لا يتحقق من فراغ ولا بدافع الميول الشخصية، بل هو عملية مدروسة ومخطط لها وفق أسس علمية، لذا يكون التجديد صنو الاجتهاد في فهم الدين وفي حسن تطبيقه[50]، أي أن التجديد يكون رديفاً للاجتهاد بمعناه العام لأن كلاهما يتحرك باتجاه واحد وهو التحصين وبيان الاحكام والمفاهيم والمقولات والتصورات الإسلامية بلغة العصر، والجهد الذي بذله مفكرو وعلماء الإسلام طيلة القرنيين الأخيرين توجه نحو احياء وإصلاح وتجديد الخطاب الديني الذي وقع عليه التخلف والجمود السلبي والتوقف، في محاولة لإثبات قدرة الاسلام

(50) علي ابو البصل، مصدر سبق ذكره، ص 174.

يؤشر المختصون بالخطاب الإسلامي وجود تلازم بين مفهومي الاجتهاد والتجديد حيث يعدون الاجتهاد وسيلة ضرورة للتجديد، أي أن التجديد لا يتحقق من فراغ ولا بدافع الميول الشخصية، بل هو عملية مدروسة ومخطط لها وفق أسس علمية

اللامتناهية على استيعاب حركة الإنسان المتطورة في الزمان والمكان بلا جمود ولا توقف في معاينة مشكلات الواقع والرجوع الى النص الديني واستنطاقه في وضع الحلول، وتوسيع دائرة التقنيين والتشريع عبر تفعيل القراءة الواعية للجوانب الاجتماعية للنص الإسلامي، وتكييف الحادث والمستجد من القضايا[51].

ولذلك يوصف الاجتهاد بأنهُ القوة المحركة للإسلام وأن الهدف منه بتعبير(الشهيد السيد الصدر) هو((تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الإسلامية للحياة لأن التطبيق لا يمكن أن يتحقق ما لم تحدد حركة الاجتهاد معالم النظرية وتفاصيلها))[52]، وأن اسلوب التطبيق يقيناً يتأثر بحركية الاجتهاد ودرجة مقاربته للواقع وتعامله مع المستجدات والمتغيرات، والاهتمام تمركز حول الاجتهاد لأنه القوة الفعالة التي تستطيع قيادة مثلث [الفرد،والمجتمع، والسيادة ((نظام الدولة))] وتوضح لهم وظائفهم وتكاليفهم في جميع الأوقات الحياتية الواسعة، وأن الاجتهاد وسيلة لتبيين التكاليف الدينية فيما يتعلق بالنظام الحكم والإفراد لأجل تحقيق غايات الدين وأهدافه[53]، أي يجب أن تنصب جهود الاجتهاد في بلورة فهم صحيح سوي وتشخص فيه سلبيات وايجابيات الماضي وإشكاليات الحاضر وهمومه، من أجل التوفيق الى صياغة معاصرة تتوفر فيها ضمانات الاعتدال والازدهار والتقدم للأجيال القادمة، لذلك نرى لزوم تخطي عقبات الخلاف بمختلف سلبياته بالبحث عن مساحة جديدة تتجمع فيها كل القدرات والطاقات متضامنة مع توظيف مجال الاختلاف في التصورات والرؤى الى عامل تنوع وثراء وإبداع من خلال توحيد الارادات التي تخدم الأوطان والشعوب[54]، لأن قضايا الواقع السياسية والاجتماعية والاقتصادية افرزت قضايا جديدة تحتاج الى اجتهاد جديد وفق القواعد الاصولية والنصوص والضوابط الفقهية،فتجديد الفقه أول

يوصف الاجتهاد بأنهُ القوة المحركة للإسلام وأن الهدف منه بتعبير(الشهيد السيد الصدر) هو((تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الإسلامية للحياة لأن التطبيق لا يمكن أن يتحقق ما لم تحدد حركة الاجتهاد معالم النظرية وتفاصيلها

(51) إبراهيم العبادي، مصدر سبق ذكره، ص 26.

(52) المصدر نفسه، ص 28.

(53) المصدر نفسه ، ص 29.

(54) كمال الدين جعيط، الاجتهاد واجـب ديني وحـضـاري في :مجموعة مؤلفين، مصدر سبق ذكره ، ص 138 .

ما يعني بهذه الإفرازات الواقعية الجديدة، ويهدف تجديد الفقه الى أعادة الناس الى حقائق الاسلام وإحياء مفاهيم الاسلام والاستنهاض بواقع الأمة على منهج الاعتدال والتوسط وهو منهج الله سبحانه وتعالى[55].

اذن الاجتهاد هو مفهوم ينتسب الى الحضارة الإسلامية، ويقارب مفهوم(الحداثة)[56*] التي ينتسب الى الحضارة الغربية وهو بحاجة الى اعادة اعتبار وإحياء جديد لينهض بوظيفته التجديدية والتأصيلية والنقدية، ولهذا المفهوم مكونات ودلالات وعناصر هي[57]:

الاجتهاد هو مفهوم ينتسب الى الحضارة الإسلامية، ويقارب مفهوم الحداثة التي ينتسب الى الحضارة الغربية وهو بحاجة الى اعادة اعتبار وإحياء جديد لينهض بوظيفته التجديدية والتأصيلية والنقدية

1- اعطاء العقل اقصى درجات الفاعلية باستفراغ وبذل أرفع مستويات الجهد البحثي والعلمي والفكري في مجال دراسة النظريات والمفاهيم والأفكار والأحكام، بالشكل الذي من المفترض أن يحقق قدراً من الابتكار والتجديد والاكتشاف وهذا ما نستفيده من المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة الاجتهاد. فالاجتهاد لا يصدق دلالة ومضمون إلا بعد اكتمال شرائط البحث وإعمال النظر بالأدوات المنهجية والطرائق وبما يوفر الاطمئنان النفسي والمنهجي والعلمي.

2- التحريض المستمر على البحث العلمي والمعرفي، فالاجتهاد دعوة نحو مضاعفة الجهد العلمي دون انقطاع أو توقف وإنما بتراكم وتواصل، وهو صياغة ذهنية يتولد منها فعل الاجتهاد بصورة مستدامة فلا تهاون في تحصيل المعرفة والعلم والتقدم وهو حصيلة تراكمات العلم واستخداماته في مجالات الحياة المختلفة.

3- مقاومة ومحاربة عناصر الجمود والتفكير السطحي والاعوجاج الفكري، وهذه الحالات اشد ما يعارض ويناقض مفهوم الاجتهاد وهذه الحالات تفشت في زمن التراجع الحضاري الذي اصاب حركة الاجتهاد بالانغلاق والجمود والتوقف لحد ما[58].

والاجتهاد من جهة أخرى يفترض أن يكون التعامل مع النص

(55) علي ابو البصل ، مصدر سبق ذكره ، ص 172.

(56) (*) الحداثة في اللغة تعني حدث الشيء يحدث حدثاً وحداثة وأحدثه فهو محدث وحديث. وكذلك استحدثه .. فالحديث هو ايجاد شيء وابتدعه .والحديث والحدوث نقيض القديم والقدم. وما ابتدع ، والمحدث هو الامر المبتدع ، واستحدثت خبراً جديداً، والحديث الجديد من الاشياء للمزيد ينظر الى:(جمال الدين محمد أبن مكرم أبن منظور، لسان العرب، ج 9، دار صادرة للنشر، بيروت ، ص 1455ـــ 1457.)، اما في الاصطلاح عرف(جون بودريار) الحداثة أنه ليست مفهوماً سياسيا أو سويسولوجا أو تاريخياً بحصر المعنى، أنما هي صبغة مميزه للحضارة تعارض صبغة التقليد أي أنها تعارض جميع الثقافات السابقة والتقليدية ، فأمام التنوع الرمزي والجغرافي لهذه الثقافات تفرض الحداثة نفسها كأنها وحدة متجانسة مشعه عالمياً انطلاقا من الغرب، نقلا عن:فارح مسرحي، الحداثة في فكر محمد اركون، ط 1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2006 م، ص 21 .

(57) زكي ميلاد، الاجتهاد وبناء المعاصرة في الفكر الإسلامي، في مجموعة مؤلفين، مصدر سبق ذكره، ص 231 ـــ 231.

(58) المصدر نفسه ، ص 233.

بشدة الفحص وتعمق النظر وبصورة مستمرة ودائمة، مما يجعل النص مفتوحاً للمعنى في كل حال ومكان وزمان بشكل يتعارض مع احتكار الفهم على جيل أو طبقة من الناس أو يتحدد الفهم في مكان أو زمان ما، والمجتهد حسب التشريعات العلمية والفقهية في الخطاب الإسلامي لا يجوز له أن يكون مقلداً لمجتهد آخر وإلا سلبت منه صفة الاجتهاد، بل يتوجب عليه أن يكون صاحب قدرة على الابتكار والاكتشاف.

4- مواكبة تجددات الحياة وتحولات الزمن ومتغيرات العصر ومقتضيات التقدم وشرائط المستقبل، فالاجتهاد مجالاته القضايا والموضوعات الجديدة والمعاصرة[59].

(59) المصدر نفسه، ص 234.

لاشك أن هذه الدلالات تعطي قيمة متعاظمة لمفهوم الاجتهاد، فالاجتهاد ثورة في التفكير ودعوة في التقدم والاعتدال والتطور حيث تؤكد الحاجة إليه في هذا العصر.

لذا فقد دعا (يوسف القرضاوي) إلى ضرورة إعادة فتح باب الاجتهاد من جديد، لأن الباب فتحه رسول الله (ﷺ) فلا يملك احد إغلاقه من بعده[60]. ويذهب(وهبه الزحيلي) إلى القول: بأن الاجتهاد أمر لا بد منه، من أجل مواكبة تطورات الحياة، ومعرفة حكم المسائل المتجددة، وكل تشريع في العالم لا يخلو من هذا، فالقوانين والأنظمة تحتاج دائماً وأبداً إلى نوع من تغطية الحوادث الجديدة، فمثلا نلاحظ على القوانين الوضعية إلغاء قانون سابق ووضع قانون جديد محله، أما في الشريعة الإسلامية فلا يمكن إلغاء شيء منها لأنها شريعة من عند الله سبحانه وتعالى، فلذا يكون الاجتهاد في ضوء النصوص التشريعية وفي ضوء المبادئ العامة، وفي ضوء روح التشريع، وهذا يحقق مرونة هذه الشريعة وتلبيتها لحاجات الناس وموافقتها لها تحقيق مصالح الناس في الزمان، والمكان[61].

(60) يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين.. وتنهض بالدنيا،ط 1، دار الشروق ، القاهرة ، 2001 م، ص 41.

الاجتهاد أمر لا بد منه، من أجل مواكبة تطورات الحياة، ومعرفة حكم المسائل المتجددة، وكل تشريع في العالم لا يخلو من هذا، فالقوانين والأنظمة تحتاج دائماً وأبداً إلى نوع من تغطية الحوادث الجديدة

(61) وهبه الزحيلي، تجديد الفقه الإسلامي، في: جمال عطية و وهبه الزحيلي، تجديد الفقه الإسلامي، ط 1، دار الفكر للنشر، دمشق،2000 م،ص ص 230-232.

ويتضح مما تقدم أن الاجتهاد شرط أساسي لتطوير وتجديد

وإصلاح الحياة وتحقيق الاعتدال، وبما ينسجم ومتطلبات المرحلة.

ثانياً: التقريب بين المذاهب

تعالت الأصوات التي تدعوا الى ضرورة التجديد الفكري والعملي لخطاب التقريب بين المذاهب الإسلامية بالشكل الذي يكون متوافق ومستجيب لتطورات العصر وللتراكمات المعرفية في هذا المجال، وضرورة تجديد قناعة الأمة وترسيخها بهذه القضية الكبرى، وضرورة تكوين العلم والمعرفة بالمذاهب الإسلامية من أجل تجاوز المشكلة المعرفية في هذا الشأن، وهي المشكلة التي كانت سبباً في تكوين الفهم الملتبس والخاطئ وسبباً في بعض التصادمات والنزاعات التي حصلت ومازالت تحصل في الأمة، بالإضافة الى ذلك أن الأمة بحاجة الى نهضة فكرية ترتقي بوعيها الجمعي والعام لإدراك هذه القضية بصورة فاعلة وجادة[62].

(62) علي ابو البصل، مصدر سبق ذكره، ص 99.

وأن التحول من البحث عن الفروقات بين المذاهب الإسلامية بالشكل الذي يكرس ويؤدي الى الخصومات والنزاعات الحادة، الى البحث عن المشتركات بين المذاهب أو البحث عن التقريب بين المذاهب الإسلامية بالشكل الذي يؤدي الى التوافقات والمصالحات مما يسهم ذلك في تماسك البنى الداخلية للمجتمعات الإسلامية وتحقيق الاعتدال والحوار والتسامح بينها[63].

(63) علي أبو البصل، مصدر سبق ذكره ، ص 93.

ويرى السيد(محمد حسين فضل الله)أن حركة التقريب بين المذاهب لابد أن تتطور لتواكب الفكر الإسلامي في معالجة التحديات الجديدة مما قد يدور الجدل فيه بين المسلمين على اساس الاختلاف الفكري أو الفقهي في المفاهيم العامة، الآمر الذي يفرض على الجميع الاستعداد بكامل الوسائل العلمية والفكرية على أكثر من صعيد ليأخذ التقريب بين المسلمين دوره وأثره الحركي الفعال في ساحة الواقع، بدلا من أن يكون هو مجرد حالة ثقافية تجريدية في دائرة الترف الفكري[64]، لأن التقريب بين المذاهب في جوهره هو محاولة للتخلص من التطرف والتعصب وجمع كلمة الأمة على اصول عقيدتها والمبادئ الأساسية لدينها وإشاعة روح التسامح

(64) محمد حسين فضل الله، احاديث في قضايا الاختلاف والوحدة ، ط 1، دار الملاك للطباعة، لبنان ، 2000 م، ص265.

والاعتدال، أن الوحدة الفكرية مقدمة ضرورية للوحدة السياسية والأمة الإسلامية يوحد بينها فكرياً الاصول السياسية لعقيدتها والقيم الخالدة لدينها على العكس من التفريق والتعصب المذهبي جعل الأمة في حالة من الجهل والنسيان فلم يفرقوا بين ما يجب الايمان به وما بين المعارف الفكرية التي تختلف فيها الاراء دون أن تمس الاصول والقيم الكلية، إذ أن التقريب بين المذاهب يلغي التعصب من جهة ويقود الأمة نحو الوحدة الجامعة من جهة أخرى[65].

(65) محمد الدسوقي، منهج التقارب بين المذاهب الفقهية من اجل الوحدة الإسلامية، ط1، دار التقريب للنشر، بيروت، 1994م، ص 55.

أن الوحدة الفكرية مقدمة ضرورية للوحدة السياسية والأمة الإسلامية يوحد بينها فكرياً الاصول السياسية لعقيدتها والقيم الخالدة لدينها

وبالتالي نستنتج أن التقريب بين المسلمين في تفكيرهم واقتناعهم واتجاهاتهم وأهدافهم من أعظم مقاصد الإسلام، ومن أهم وسائل القوة والنهوض والاعتدال والإصلاح وهو من الخير لشعوبهم، وجامعتهم في كل زمان ومكان.

ثالثاً: محاربة التطرف

يبدأ التطرف فكرياً من الانغلاق على فكرة معينة أو مجموعة من الأفكار مع غياب المرونة أو التقبل أو حتى مناقشة الآراء والأفكار الأخرى، وبعدها يتحول الى التطرف الانفعالي حيث تكون مشاعر وانفعالات الشخص باتجاه معين يتحمس له دون تفكير، ويترجم في نهاية الى التطرف السلوكي الذي يتمثل في التعدي على حقوق الآخرين وإرغامهم على الإذعان له[66]، لذا يعد إصلاح المجتمع وتطهيره من التعصب والظلم والجور طريقة ناجحة لمنع ظهور التطرف بدايةً واجتثاثه بعد ظهوره لأن الظلم بحق الناس وتعامل معهم على أساس الفروقات الطبقية والانتماء العشائري والحزبي وممارسة الفساد واحتكار السلطة يعد ساحة واسعة وخصبة لظهور ونمو وانتشار التطرف في المجتمعات[67].

(66) خالد عليوي العرداوي، الاعـتـدال الديني ـــ وقائع المؤتمر الوطني حول الاعتدال في الدين والسياسة ، ط1، دار الكفيل للنشر والتوزيع، كربلاء، 2018م ، ص65.

(67) علي بابير، نقض فكرة التطرف، ترجمة:ياسين حسين محمد، ط 1، دار الحكمة للنشر، لندن، 2016م، ص67.

يعد إصلاح المجتمع وتطهيره من التعصب والظلم والجور طريقة ناجحة لمنع ظهور التطرف بدايةً واجتثاثه بعد ظهوره لأن الظلم بحق الناس وتعامل معهم على أساس الفروقات الطبقية والانتماء العشائري والحزبي وممارسة الفساد واحتكار السلطة يعد ساحة واسعة وخصبة لظهور ونمو وانتشار التطرف في المجتمعات

وكذلك نشر الثقافة المدنية والخطاب المعتدل يساعد على مواجهة التشدد والتطرف الذي يضرب بنية المجتمعات كافة داخلياً وخارجياً والتعامل مع الآخر على وفق قيم الاعتدال والوسطية والتسامح، بالإضافة الى تنمية الوعي المجتمعي بخطورة تحديات المرحلة الراهنة من أجل المحافظة على السلم الاجتماعي ومكافحة ظاهرتي التطرف الفكري والإرهاب من أجل تمكين الاستقرار الشامل في المجتمع والسعي نحو النهوض بالواقع الاجتماعي والسياسي في البلاد[68].

وهنالك طرق وأساليب أخرى في محاربة التطرف، منها الاسلوب السياسي والفكري عن طريق الاستيعاب وفتح قنوات الحوار لإقناع من يحمل فكرا متطرف بأن المعالجات والإصلاح بالطرق السلمية بعيداً عن العنف وأراقه الدماء مفتوحة ومتيسرة إمامه وليست مغلقة[69]، فضلاً عن الاسلوب الاقتصادي في محاربة التطرف عن طريق الدعوة الى تحسين الوضع الاقتصادي للمجتمع بتوزيع الثروات بشكل العادل وعدم اهدار المال العام والفساد الحكومي، وإتاحة فرصة العمل والإبداع والمشاركة للشباب ليكون فرداً صالحا في مجتمعه وأمته[70]، لاسيما وأن الكثير من الباحثين قد فسروا سبب توجه الشباب نحو التطرف هو صعوبة ظروفهم الاقتصادية والفقر والعوز، وأيضاً يسود التطرف في البلاد التي يغلب على طابعها البشري(اللون الواحد)، على العكس من البلاد التي تتنوع فيها الاديان في طوائفها المختلفة ومواهبها المتعددة، أي أن الاسلام عندما يطرح نفسه في الساحة متعددة الآراء فأنه يريد أن ينقل الانتماء من موقع العصبية،الى موقع الفكر، ويحرك الدين من زاوية الطائفية والعشائرية التي لا تختزن ألا التخلف والحقد والتطرف، الى أفق الحالة الفكرية التي تثير التفكير وتدعو الى الحوار بالحكمة والجدال بالتي هي احسن والموعظة الحسنة[71].

يسود التطرف في البلاد التي يغلب على طابعها البشري(اللون الواحد)، على العكس من البلاد التي تتنوع فيها الاديان في طوائفها المختلفة ومواهبها المتعددة، أي أن الاسلام عندما يطرح نفسه في الساحة متعددة الآراء فأنه يريد أن ينقل الانتماء من موقع العصبية،الى موقع الفكر

(68) حيدر علون حسين و حسين حيدر جاسم ، تداعيات الخطاب السياسي على السلم المجتمعي في العراق ، مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية ، جامعة الانبار، مج 8، العدد خاص بمؤتمر :الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز التمية المجتمعية ، 2018 م ، ص 255 .

(69) خالد عليوي العرداوي، مصدر سبق ذكره، ص 69.

(70) عمار الفارس، منهجية الشيخ يوسف القرضاوي في معالجة ظاهرة الغلو في التكفير، ط1، د . د، د . م، 2018م ، ص100.

(71) محمد حسين فضل الله، الحركة الإسلامية هموم وقضايا، ط4، دار الملاك للنشر، بيروت، 2001م، ص 190.

الخاتمة

يتضح مما تقدم أن هناك عدة معوقات للاعتدال تشكل تهديداً حقيقياً للدول والمجتمعات كافة اذ يهدد السلم الاهلي والوحدة والتماسك داخل المجتمعات العربية ، وكذلك يعيق تحقيق الاعتدال والوسطية في تلك المجتمعات وغياب الحوار والتسامح بينهم . وعلى الرغم من تلك المعوقات ، إلا أن هنالك مقومات يشير اليها ويؤكد عليها الخطاب الإسلامي المعاصر من أجل تعزيز الاعتدال والوسطية ونبذ العنف والإرهاب أبرزها ... تجديد الاجتهاد والتقريب بين المذاهب ومحاربة التطرف ، ورغم ذلك فإن ذلك الخطاب والرؤى الفكرية لم تطرح بشكل واضح الآليات المناسبة والشروط الواجب توافرها لتلك المقومات والجهات المعنية بتنفيذها وتوفيرها .